من أقاصيص الأولين

اختيار وتقديم
ساميه زكى

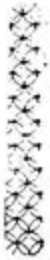

دخل خالد بن صفوان التميمى يوما على أبى العباس السفاح فوجده وحده ـ وكان له نديما ـ فجلس اليه ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، انى فكرت فى أمرك ، وسعة ملكك ، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة ، فان مرضت مرضت انت ، وان غابت غبت أنت وحرمت نفسك التلذذ بالجوارى الظريفات ، ومعرفة أخبار حالاتهن ، والتمتع بما تشتهى منهن .

ان منهن يا امير المؤمنين الطويلة التى تشتهى لجسدها فهى الغيداء .

وان منهن البضة البيضاء التى تحب لروعتها ، والسمراء اللعساء ، والصفراء العجزاء الذهبية ـ من مولدات المدينة والطائف واليمامة ـ ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر . ممن تفتن بمحادثتها ، وتلذ بخلوتها .

وأين أمير المؤمنين من بنات الأحرار والنظر الى ما عندهن وحسن الحديث منهن ؟ ولو رأيتهن يا أمير المؤمنين ورأيت حسن زيهن لرأيت شيئا حسنا .

قال أبو العباس : ويحك يا خالد ، ما سلك مسامعى كلام أحسن من هذا، فأعد على كلامك فقد وقع منى موقعا.

فأعاد عليه خالد الكلام احسن مما ابتدأه ، ثم استأذنه فى الانصراف فأذن له .

وبقى ابو العباس مفكرا فيما سمع.

ودخلت عليه امراته ـ ام سلمه المخزوميه ـ فلما رأته مطرقا ، مفكرا، مهموما ، قالت له :

انى أستغرب حالك يا امير المؤمنين فهل حدث امر تكرهه ؟ أو اتاك خبر فارتعت له ؟.

قال : لم يكن من ذلك شىء .

قالت : فما قصتك ؟

فجعل ينزوى عنها ، ويتفادى من الجواب . فلم تزل تستخبره حتى أخبرها بمقالة خالد بن صفوان .

قالت : فما قلت لابن الفاعلة ؟

قال : سبحان الله ينصحنى وتشتمينه ؟

فخرجت من عنده مغضبة ، وأرسلت الى خالد جماعة من الجند فى أيديهم

عصى غليظه . وأمرتهم الا يتركوا منه عضوا صحيحا .

حدث خالد عن نفسه قال : انصرفت من مجلس السفاح الى منزلى ، وانا مسرور بما رايت منه واعجابه بما قلت، ولم اشك فى انه سيبعث الى بجائزة ثمينة، فلم البث طويلا حتى رايت جماعة من الجند ، وانا قاعد على باب دارى، ولما رايتهم قد اقبلوا نحوى ايقنت بالجائزة . ثم وقفوا على فسألوا عنى .

قلت ها انذا خالد بن صفوان .

فسبق الى واحد منهم واهوى الى بخشبة ، فوثبت ، ودخلت منزلى ، واغلقت على نفسى الباب .

مكثت اياما ثلاثة على تلك الحال . ووقع فى نفسى ان أم سلمه هى التى سلطت على هؤلاء .

طلبنى ابو العباس السفاح طلبا شديدا ، فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا على ، وقالوا لى : اجب امير المؤمنين .

ايقنت بالموت وقلت : انا لله وانا اليه راجعون . لم أر دم شيخ أضيع من دمى .

ركبت الى دار ابى العباس السفاح وليس على لحم ولا دم من الخوف . فلقيته منفردا ، ورايت فى المجلس بيتا عليه ستور رقيقة ، وسمعت حركة خلف هذه الستور ، وشعرت ان وراء الستور ام سلمه أو من تنقل لها الحديث

قال ابو العباس : لم ارك منذ ثلاث ليال ؟ .

قلت : كنت عليلا يا امير المؤمنين.

قال : ويحك ، انك وصفت لى فى آخر دخلة من امر النساء والجوارى ما لم يسلك مسامعى قط كلام احسن منه ، فاعده على .

قلت : نعم يا امير المؤمنين . اعلمتك ان العرب اشتقت اسم الضره من الضرر، وان احدا ما تزوج من النساء اكثر من واحدة الا ضر وتنغص .

قال : ويحك ، لم يكن هذا فى الحديث

قلت : بلى والله يا امير المؤمنين ، واخبرتك ان الثلاث من النساء كأثافى القدر يغلى عليهن .

قال : برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان كنت سمعت هذا منك فى حديثك .

قلت ! واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجموع لصاحبهن يشينه، ويهرمنه، ويسقمنه .

قال : والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا .

قلت : بلى والله .

قال : ويلك ، تكذبنى ؟

قلت: وتريد ان تقتلنى يا امير المؤمنين؟

قال : استمر فى حديثك .

قلت : واخبرتك ان ابكار الجوارى كالرجال .

هنا سمعت ضحكا من وراء الستر

فقلت : نعم ، واخبرتك ان بنى مخزوم رياحين قريش ، وانت عندك ريحانة من الرياحين ، وانت تطمع بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء .

وسمعت من وراء الستر قائلة تقول:

صدقت والله يا عماه وبررت بهذا حدثت امير المؤمنين ، ولكنه بدل ، وغير ، ونطق عن لسانك .

قال السفاح : ما لك قاتلك الله واخزاك ، وفعل بك وفعل ؟

فتركته ، وخرجت منسلا ، وقد ايقنت بالحياة .

وما شعرت الا برسل ام سلمه قد صاروا الى ومعهم عشرة آلاف درهم ، وتخت ثياب ، وبر ذون .

عن الهيثم بن عدى ان رجلا انشد مصعب بن الزبير قول جميل .

ما انس لا انس منها نظرة سلفت
بالحجر يوم جلتها ام منظور

فقال : لوددت انى عرفت كيف جلتها فقيل له ان ام منظور هذه حية ، فكتب فى حملها اليه مكرمة . فحملت اليه . فقال لها اخبرينى عن قول جميل .

ما انس لا انس منها نظرة سلفت
بالحجر يوم جلتها ام منظور

كيف كانت هذه الجلوة ؟

قالت البستها قلادة بلح ، ومخنقة بلح واسطتها تفاحة ، وضفرت شعرها، وجعلت فى فرقها شيئا من الخلوف . ومر بنا جميل راكبا على ناقته فجعل ينظر اليها بمؤخر عينه ، ويلتفت اليها حتى غاب عنا .

فقال لها مصعب : فانى اقسم عليك الا جلوت عائشة بنت طلحه مثل ماجلوت بثينه . ففعلت . وركب مصعب ناقته، واقبل عليهما وجعل ينظر الى عائشة بمؤخر عينه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع .